القارئ وتلقي النص الأدبي في النقد المغربي القديم

التجيبي وكتابه " المختار من شعر بشار"[1]" أنموذجا

The reader and receive the literary text in ancient maghiribin criticism el mokhtar min chiar bachar of tojaybi, book model

الدكتورة: نجوى منصوري
قسم اللغة والأدب العربي -جامعة باتنة 1(الجزائر)
nejouan@gmail.com
الدكتورة : عبد المالك مغشيش
قسم اللغة والأدب العربي -جامعة عباس لغرور خنشلة(الجزائر)
abouaroua1@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2019/09/24 **تاريخ القبول: 2019/09/29**

ملخص:

اهتم النقاد المغاربة القدامى بمتلقي النص الأدبي، و مرد هذا الاهتمام: أن الإبداع إنما وجد ليقرأ، و أبدع ليتلقى ويفهم، بحيث شكّلت العلاقة التي تربط النص بقارئه في النقد المغربي القديم، صورة من صور انفعال متلقي النص لجمالياته بدء من لحظة الالتقاء والتي تمثّل نقطة التأثر النفسي الذي يولد رغبة القارئ في كشف سبب ذلك، ووصولا إلى البحث النقدي الذي يفرز جماليات النص التي كانت سببا في قراءة النص وتذوقه.

تحاول هذه الدراسة تتبع فعل التلقي الأدبي في النقد المغربي القديم من خلال نموذجه الممثل في كتاب "المختار من شعر بشار" للتجيبي، ومحاولة فهم منطق التلقي والقراءة عند هذا الناقد والمرتبط بثقافة العصر (القرن الخامس الهجري) ومواقف نقاده وتصوراتهم للتلقي الأدبي (الشعري) في تلك الحقبة التاريخية .

الكلمات المفتاحية: التجيبي ؛(القارئ؛ النص؛ المبدع؛التلقي....)

Abstract:

Ancient maghiribin critics were interested in receiving the literary text. The reason for this concern is that creativity is there to read it, and the

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

author created it to receive it and understand it, The relation between the text and the reader In the ancient maghiribin criticism, created a picture that represents how the reader was affected by the beauty of the literary text, Starting from the moment of approach that represents the moment of psychological impact of the reader, which gives him the desire to reveal the cause, And access to critical research, which reveals the aesthetics of the literary text that was a reason to read and feel the text.

This study attempts to trace the act of literary reception in ancient maghiribin criticism through a book model << el mokhtar min chiar bachar>> And try to understand the logic of reception and reading at this critic, which was associated with the culture of the historical era (the fifth century AH) and their critics and their ideas about the reception of literature (poetry) at that time

key words: eltojaybi;the reader; Text; Creative; Receive

1- القارئ و الابداع الأدبي:

تحاول القراءة النقدية للنص الأدبي فك شفراته وتبديد الغموض الذي يصفه كونه ظاهرة إبداعية تلتقي فيها مجموعة من المكونات النفسية والثقافية والانثروبولوجية...والهدف من ذلك هو تقديمه للمتلقي المطلق على اختلف مستوياته، فالتلقي النموذجي للنص الأدبي، هو قراءة منتظمة مبنية على أسس نقدية متينة، يتجاوز فيها الناقد القارئ مقاصد المؤلف إلى مقاصد النص؛ و هذا ما عبر عنه "محمد مفتاح" في قوله: «إن عملية التلقي المباشر هي ما دعوناه بمقاصد المؤلف، تلك المقاصد التي يمكن أن يدركها القارئ العادي و القارئ المحترف، و يمكن أن تلقن في صفوف معينة، على أن الأمر يبدأ في الصعوبة حينما تتجاوز المقاصد المؤلف إلى مقاصد النص،ولا تدرك مقاصد النص إلا بالقراءة التحيلية؛ هذه القراءة التي تعير الاهتمام إلى الموضوعات الفنية التي صيغ بها النص»[2]، و التي بها يتجاوز الناقد القارئ الإدراك المباشر، و يلج فيما و راء المقصود والمبوح به إلى ما ضمر في النص وسُكت عنه، و تلك هي قراءة التأويل، التي تقود القارئ المؤول إلى أن «يُقوّل النص أو الخطاب ما لم يقل، و تبعا لذلك قد يلقي أضواء كاشفة على مكبوتات و محبوسات من خلال مؤشرات نصية، و بهذا تزيد القراءة العالمة المبدعة على ما قصد المؤلف و الخطيب، فتكشف على مقاصده و مقصدياته »[3].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن القارئ هو من مقاصد المبدع المبيتة في عملية الإبداع الأدبي، و هو بالمقابل إحدى المجالات المهمة التي استفزت دارس الأدب قديما و حديثا، و كان منطلق هذا الاهتمام مدى تأثير الإبداعات الأدبية في نفسية قارئها، يقول "روبير اسكاربيت" (R.Escarpit) :« إن الكاتب إنما يكتب لقارئ أو لجمهور من القراء، فهو عندما يضع أثره الأدبي، يدخل في حوار مع القارئ. و للكاتب من هذا الحوار نوايا مبيتة يريد إدراكها، فهو يرمي إلى الإقناع أو إلى المد بالأخبار، أو الإثارة أو التشكيك أو زرع الأمل أو اليأس» [4].

و إثارة القارئ، أو التأثير في نفسيته، هي إحدى الأساسيات التي تحكمت في توجهات الناقد العربي القديم و اهتماماته بتلقي الإبداع الأدبي من خلال الدراسة التحليلية التفسيرية الكاشفة عن المكونات النصية الباعثة على الإعجاب بالعمل الأدبي أو النفور منه؛ فالنص الأدبي عنده « هو كلام متخيل ... و إنما ينظر المنطقي فيه من حيث هو كذلك و المخيل هو الكلام الذي تذعن له النفس، فتنبسط عن أمور، و تنقبض عن أمور من غير روية، و فكر و اختيار، و بالجملة تنفعل له النفس انفعالا نفسيا غير فكري سواء كان المقول مصدقا به أو غير مصدق» [5].

ومما ورد في النقد العربي القديم من اهتمام الناقد بالتلقي النفسي للعمل الأدبي؛ قول ابن طباطبا العلوي :«النفس تسكن إلى كل ما وافق هواها و تقلق مما يخالفه، و لها أحوال تنصرف بها، فإذا ورد عليها في حالة من حالاتها ما يوافقها اهتزت له و حدثت لها أريحية و طرب، و إذا ورد عليها ما يخالفها قلقت و استوحشت» [6]،و يمثل "ابن سلام الجمحي" في طبقاته للعلاقة الحميمة القائمة بين الشعر و قارئه، على وقع التأثر النفسي، فيقول: حدثنا«ابن سلام قال سمعت يونس و قد تمثل بهذا البيت [7]:

أيها الشامت المغير بالدهـ * ر أأنت المبرأ الموفـــــــــور**

أم لديك العهد الوثيق من الأيـ * ـام بل أنت جاهل مغزور**

فقال لو تمنيت أن أقول شعرا ما تمنيت إلا هذه أو مثل هذه» [8]،و يعلق "القاضي الجرجاني" على قصيدة للبحتري، مبينا التأثير الكبير الذي يحدثه إعجاب القارئ بجماليات النص، فيقول: «أنظر هل تجد معنى مبتذلا و لفظا مشتهرا مستعملا، و هل ترى صنعة و إبداعا أو تدقيقا أو إغرابا. ثم تأمل كيف تجد نفسك عند إنشاده، و تفقد ما يتداخلك من الارتياح وما يستخفك من الطرب إذا سمعته، و تذكر صبوة إن كانت لك تراها ممثلة لضميرك و مصورة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تلقاء ناظرك»[9] وتسوقنا هذه النماذج إلى تصور معرفي جمالي ضيق إلى حد ما، يتمثّله مفهوم القارئ وعلاقته بالنص الأدبي عند الناقد العربي القديم.

وبالرغم من سذاجة العلاقة التي تربط النص بقارئه في التصوّر النقدي العربي القديم، فقد شكلت مهاد فكرة التلقي و التي انبنت على ما يحدثه النص الأدبي في نفس الناقد قارئه، من خلال لحظة الوقع[10] والتي تمثّل لحظة التقاء النص و القارئ، وهي مفهوم يحيل إلى التأثر النفسي الآني لقارئ النص ولا يرق إلى ما عرفته نظرية ياوس من توسعات في مفاهيم الأثر والوقع و تعمق فيها ، وهو ما يحتم على الباحث التعامل مع قضية تلقي النص الأدبي في النقد العربي القديم (ومنه المغربي) وفق منطق الناقد وتصوراته المرتبطة بزمانه؛ فلكل ناقد ثقافته وفكره و لغة عصره، ومن الضروري دراسته من خلال فكر الحقبة التاريخية التي ينتمي إليها، أي داخل المجال التاريخي لهذا الفكر [11].

طوّر الناقد العربي عمله النقدي بحسب المرجعية الثقافية والفكرية التي سادت عصره، في محاولته الإجابة عن أسئلة متعلقة بالنص ومقصدية تأليفه، وكيفية اشتغاله، وكيفية تلقيه ، وارتبطت الأسئلة بعضها ببعض عبر السيرورة الزمنية للإبداع والنقد معا منذ القدم، بحيث تعالقت الدراسات التي طرحت تلك الأسئلة بأزمنة سابقة أو بمرجعياتها النقدية،و هذا ما ينطبق على فكرة التلقي أو القراءة التي ظهرت في صورتها البسيطة في نقدنا العربي(والمغربي) القديم، و نضجت في الفكر النقدي العربي الحديث بحيث تجاوزت المبحوث عنه إلى المسكوت عنه.

و المسكوت عنه قارئ ضمني، يعمل على جذب القارئ الحقيقي(الناقد) للبحث في النص؛ ويمثّل الآليات النصية الموجهة لفعل القراءة و ممارسات الناقد التحليلية والتأويلية لكشف أبعاد النص و كيفيات اشتغال عناصره الجمالية[12]. يقول أيزر:(*IZER*)إن«القارئ الضمني لا يملك وجودا حقيقيا لأنه يجسد مجموع التوجهات الأولية التي يقترحها نص تخييلي على قرائه الممكنين و التي هي شروط تلقيه. نتيجة لذلك، فإن القارئ الضمني ليس منغرسا في جوهر تجريبي، بل هو متحذر داخل بنية النصوص نفسها»[13]. و هو مانجده عند الفرابي في قوله: إن « غاية الشعر تتمثل فيما يوحي به من وقفة سلوكية، يدفع الشاعر إليها المتلقي، لا بأقوال مباشرة و إنما بأقوال مخيلة، يكون بينها و بين السلوك المترجى علاقة نفسية قوية. بمعنى أن القصيدة تقدم من مخيلة المتلقي مجموعة من الصور، تستدعي من ذاكرته الطائفة و من الخبرات المختزنة، تتجانس محتوياتها الشعورية و الانفعالية مع صور القصيدة، مما

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يفرض على المتلقي حالة نفسية خاصة، تجعله يقف ضد أو مع موضوع التخيل الشعري، و بالتالي يسلك إزاءه سلوكا معينا»[14].

و السلوك الشعوري الانفعالي هو بداية البحث الجمالي في الغموض المسبب له وإحساس المتلقي بالجمال أو القبح يمهد له طريق البحث ؛ ذلك أن« قراءة النص الأدبي تقتضي أدبية القراءة، و تلقي الجمال يفترض جمالية التلقي أو النقل، بعبارة ثانية، إن أدب الكاتب، يوجب أدب القارئ. لهذا نرى أن السؤال حول كيفية تلقي النص و شروطه، لا يقل أهمية عن السؤال حول شروط إبداعه. فمن مهمات النقد أن يتناول التلقي /القراءة بقدر ما يتناول النص الإبداع»[15]، فالنص، بحسب رأى أدونيس، يتمتع بخصوصية جوهرية« تتمثل في كونه عملا لغويا، من جهة، و عملا جماليا، من جهة ثانية، أي في كونه طريقة نوعية. في استخدام اللغة، وطريقة نوعية في الاستكشاف والمعرفة»[16]، و لاتتحقق هوية النصية واقعيا إلا من خلال قارئه .

ولعل هذا التصور حول أهمية القارئ يحيل إلى لغة التواصل بين النص وقارئه والتي اعتبرها النقاد القدامى لغة تراثية جماعية وليست محصورة بين فئة الشعراء وحسب ، فالشعر العربي موروث ينتمي إلى الأمة أكثر من كونه إبداع أفراد مختلفين [17]، ولغة الجماعة أو لغة القارئ المطلق بمستوياته المختلفة، تتميز بوظيفتين أساسيتين:«أولهما: تكمن في القيام بشحذ الفكر. و ثانيهما أنها وسيلة لنقل الأفكار و المعاني من الكاتب إلى القارئ»[18] ، ولذلك فهي تساعده على فهم العمل الأدبي، والحكم على النص (الشعري) من خلال لغته واعتبارها من المقاييس الأساسية في العمل النقدي ؛ فلغة الأدب لغة إيحائية نفسية،و تمثل المفتاح النصي الذي يقود الناقد نحو خبايا النص و قياس مدى نجاح المبدع أو فشله في تجربته الإبداعية.

و اعتبار اللغة مقياسا أساسيا في العمل الأدبي، و شفرة أولية فيه ، أخذ اتجاها جديدا وحظي بقسط أوفر من الاهتمام مع نضوج النقد العربي الحديث الذي جعل من النص «بنية من الإشارات اللفظية»[19]، ويتجلى هذا الاتجاه في نقد مصطفى ناصف الذي يجعل مهمة الناقد الأساسية و الحقيقية «في التحليل و معرفة طبائع الأشياء مستقلة ما أمكن»[20]، و يظهر اتجاهه اللغوي حين يقول:«رسالة الشعر ذات طابع نحوي، إن الخاصة المميزة للقول أو صورته الباطنية هي النحو»[21].ولعل الاهتمام الذي حظي به المقياس اللغوي،قديما و حديثا، يعود سببه إلى تبني الخصائص المنهجية التي يتمتع بها المنهج اللغوي [22].

2- الاستعداد النفسي لتقبل العمل الأدبي:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن تجربة القارئ الجمالية في تلقي النصوص الأدبية كانت موضع مناقشة و بحث من قبل الكثير من النقاد و الدارسين، لكن الجوانب النفسية لهذه التجربة كانت أوفر حظا من الجوانب الاجتماعية[23]، فالثابت،عندهم، أن « الأقاويل الشعرية هي مبعث التأثير في القارئ و احداث الارتياح النفسي. فكلما كان النص أبدع كان أنفذ إلى ذهن المتقبل و أقوى على الأخذ بمجامع القلوب»[24].يقول حازم القرطاجي:«ليست المحاكاة في كل موضع تبلغ الغاية القصوى في هز النفوس و تحريكها بل تؤثر فيها بحسب ما تكون عليه درجة الإبداع فيها...»[25]،فالولوج إلى النص الأدبي و اكتشاف طاقته التأثيرية والجمالية لا يتحقق إلا بعاملين نفسيين يجمعهما حازم القرطاجني في لفظة "الاستعداد" و يتلخصان في أن تكون للنفس حال و هوى قد تهيأت بهما لأن يحركها قول ما»[26] و أن تعتقد النفوس أن في الشعر حكم و« أنه غريم يتقاضى النفوس الكريمة الإجابة إلى مقتضاه بما أسلبها من هزة الارتياح لحسن المحاكاة»[27] فالتلذذ بالشعر و تذوقه و كشف فنياته وثيق الارتباط بالاستعداد النفسي للمتلقي وتحقق الألفة، و يكون الحكم على النص أو تحليله مستند إلى هذا الاستعداد.

3- تلقي النص الأدبي بين الغاية الجمالية والوظيفة التوجيهية للناقد :

يعد الناقد الأدبي أول من يحتك بالنص، و يمثّل الوسيط بين الإبداع و جمهور القراء على اختلاف مستوياتهم، بحيث ينقل انطباعه وحالة التأثر التي تقع له في تلقيه النص، من خلال الأحكام الذوقية والتحليل الذي يعلل أثر النص في قارئه الناقد. يقول ديفيد ديتش:«يستطيع الناقد أن يعد نفسه حكما يقدر كل أثر أدبي عدد ما يستحقه من درجات أو يقف وسيطا بين الأثر الأدبي و القارئ، قادرا على أن ينقل النكهة و المتعة إلى القارئ و يعينه على أن يستشعر المتعة بالمثل»[28]. بحيث تمثل "التأثرية" منطلق العملية النقدية ووظيفتها التوجيهية.

ويتحقق مفهوم التأثرية، باعتبارها ثمرة التفاعل القائم بين الإبداعات و القراء، من خلال بوح الناقد بالتأثيرات الحسية التي يصنعها العمل الإبداعي و الاستجابات الانفعالية التي تنتهي إلى تذوق الجمال ، وكذلك بيان أهمية الاستجابة الجمالية في تقبل و قراءة النص، ومن ثم تأتي محاولة الاجابة عن التساؤلات التي تقلص المسافة بين القارئ و النص وبالتالي محاولة فهم العمل أو الصناعة الابداعية وتحقيق التواصل المرجو من عملية القراءة ، ولذلك يكون مفهوم التأثرية وفق هذا التصور من أسس التلقي الجمالي المحقق للقراءة النقدية .

فالناقد من خلال تقديمه لمعنى التأثرية وأهميتها في القراءة والتلقي ، يساعد جمهور القراء على محاولة تحقيق التواصل المرجو بينهم وبين النص، من حيث كشف «صفات من القوة و الجمال و ثروة من اللذة و عمقا من الأهمية لا نستطيع بدون هذه المساعدة إلا أن نظل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عنها عميا. فالناقد كثيرا ما يعطينا وجهة نظر جديدة تماما، و كثيرا ما يؤدي مساعدة خاصة بأن يترجم إلى تعبير محدد إحساسات لنا كنا نحس بها إحساسا مهما غامضا ليس له قيمة عملية. فهو أحيانا مستكشف يستكشف أرضا جديدة، و هو أحيانا رفيق صديق يدلنا على جوانب غير منظورة من الأشياء التي نمر بها في طريقنا حتى تلك التي نعرفها معرفة جيدة. و هكذا يعلمنا أن نقرأ ثانية لأنفسنا بذكاء أعظم و بتقدير أعمق»[29]. و ليس ذلك فحسب ، بل إنه«كثيرا ما يؤدي لنا أعظم المساعدة حين يتحدى أحكامنا الخاصة ويعارض آراءنا التي سبق أن كوناها و لا يقتصر على التعليم بل الإثارة والاستفزاز»[30].

إن الإدراك الجمالي للنص الأدبي الذي يصرف ذات القارئ متقبل النص بحكمه الذوقي الجمالي إلى النص ذاته و موضوعه «من شانه أن يزيد من خصوبة الذات لأنه عادة ما ينمي لديها ملكة الذوق، و ما الذوق إلا وسيلة نحو إصدار حكم جمالي معين»[31]. يقول كرومبي ،موضحا هذه الوظيفة الجوهرية: إن وظيفة النقد تكمن في «هداية القارئ إلى تكوين رأي صحيح عن نتاج أدبي موجود عن طريق أسئلة معقولة يسألها المرء عن كل شيء يتعلق بالأدب ثم الإجابة عنها كذلك إجابة عقلية»[32]، فالنقد هو «بمثابة أعلام منصوبة تهدي إلى كيفية التذوق ووسائله، و تبصر الناقد إلى ما ينبغي أن يوجه باصرته إليه في نقد الأساليب، و متى عرف الأجزاء عرف كيف يهدي من خلالها إلى معرفة الكل و المجموع»[33]، والأمر كذلك إذا ما تعلق بالقارئ المبتدئ، أو البسيط والذي غالبا ما يستغلق عليه النص فيأتي النقد ويحاول فك ذلك الاستغلاق موضحا الاضمار النصي اين تقبع جمالية النص .

ولذلك تكون وظيفة الناقد ومسؤوليته في توجيه الذوق العام نحو قراءة واعية للنص الأدبي باعتبار العملية النقدية ظاهرة اجتماعية تتعدى حدود الموقف الشخصي إلى الموقف الجماعي، و باعتبار الناقد واسطة شفافة لا تحول بين القارئ المطلق و الأديب المنتج و إبداعه بحال [34].

4- القارئ عند التجيبي القيرواني:

ألف التجيبي كتابا نقديا يضم مختارات من شعر بشار بن برد، اتخذها المؤلف مادة للبحث في قضية السرقات عند هذا الشاعر وغيره ممن سبقه أو عاصره من الشعراء، وكان عنوانه "المختار من شعر بشار" ، والتفت فيه الناقد إلى أصول معانيه في مختاراته، وتتبع معانيه المحدثة التي تفرّد بها "بشار" وأخذها عنه من جاء بعده من الشعراء .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن المعاني المحدثة عند بشار ما جاء في وصف الليل الطويل، ووصف مكارم الأخلاق، وذكر حسن الحديث، وذكر التشوق والارتياع، ووصف الجيش، والدعوة إلى اللذة والجبرية ...وغير ذلك[35].

يعد الكتاب درة يتيمة لصاحبها التجيبي ، فهو مدونة أدبية تحفظ نصوصا نادرة تفتقر إليها مصادر الشعر العربي القديم، كما أنه مدونة نقدية تهتم بحس القارئ وذوقه، وثقافته الممثلة في رواية الشعر ومعرفة أصول اللغة والكتابة بها وخصائصها الأسلوبية والفنية

لم يكن الهدف من تأليف الكتاب التعريف بشعر بشار بن برد وتقديمه لجمهور القراء المغاربة وحسب،وإنما، أيضا، مقاربة النص الشعري ومحاولة فك اللبس عن بعضه بحيث يتبدد الغموض وتتضح المعاني التي تظهر تعالقها بما جاء عند الشعراء ممن سبقوا بشار أو عاصروه، او ما تظهر جدتها وأصالتها في شعره، ولعل ما قدّمه التجيبي، من خلال عمله النقدي على النص وفق منهجه المذكور، يقرّب النص لجمهور القراء ويوجه فعل القراءة في الانطلاق من البحث اللغوي الذي يفضي إلى المعانى ومنه إلى تجلية فعل السرقة مما يشبهها في مجال المعاني الشعرية، والتوجيه يتحدد في صورتين متلازمتين: الاولى تتعلق بآليات تحليل النص ومنهجيته في الانطلاق من الجزء إلى الكل أو من الظاهر إلى الباطن أو من اللغة إلى المعنى، والصورة الثانية تتعلق بفائدة التحليل الذي يفضي إلى النظرية بحيث يكون التعامل مع النص أساسا في وضع النظرية أو الموقف النقدي حول القضايا التي عرفها النقد العربي القديم، ويكون ذلك متكؤ الناقد في شرح وجهة نظره في قضايا النص الأدبي ومنها قضية السرقات الشعرية.وهذا ما نجده في مقاربته احدى مقطعات بشار بن برد (أبو معاذ، كما يقول): «وقول أبي معاذ من قصيدة :

شربنا من فؤاد الدن حتى *** تركنا الدن ليس له فؤاد

وليس الجود منتحلا ولكن *** على أعراقها تجري الجياد

ويوم في بني جشم بن بكر *** نعمت به وندمـــاني زياد

إذا ما شئت غناني كريم *** له حسب وليس له تـــــلاد

يقال نديم وندمان ، وجمع نديم ندماء كظريف وظرفاء وشريف وشرفاء وجمع ندمان ندام كعطشان وعطاش وظمآن وظماء وهو الصاحب على الشراب ، والحسب ما يعد للرجل من المآثر ، رجل حسيب أي ذو مآثر وشرف وأصله من العدد يقال حسبت الشيء حسبا وحسبانا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحسبانا إذا عددته والمعدود حسب يقال . قد دخل هذا في الحسب أي في الشيء المحسوب :فالحسيب في الرجال من تعد له أفعال حسنة أو آباء أشراف ، والتلاد ما ولد عندك وهو خلاف التليد لأن التليد ما ولد عند غيرك ثم اشتريته صغيرا فثبت عندك » [36]

وبعد استجلائه لغة النص وتبديد غموضها ينتقل إلى بيان معانيها المتداولة عند غيره من الشعراء من أمثال أبي نواس وابن معتز وآخرون ، وكأننا بالناقد يكشف المعنى من خلال التشكيل اللغوي للنص، يقول:«أخذ النظام قوله شربنا من فؤاد الدن حتى البيت فقال

ما زلت آخذ روح الزق في لطـــف *** وأستبيح دما من غير مجروح

حتى انثنيت ولي روحان في جسدي *** والزق مطرحا جسم بلا روح

وقريب منه قول عمرو بن قعاس :

وكنت إذا أرى زقا مريضا *** يناح على جنازته بكيت

وقول ابن معتز:

والزق في روضة تسيل دما *** أوداجه جاثيا على الركب

ويتطرق هذا المعنى قول الشريف أبي القاسم ارسي (...)» [37] . فيسهل على القارئ مقارنة معنى بشار بمعنى غيره ممن ادعى التجيبي أنه قد أخذه عنه أو مع من أخذ بشار منه ، خاصة وأنه خص أبيات بعض من تداولوا المعنى بالتفسير اللغوي . وكذلك فعل مع قول أبي معاذ :

خليلي إن الموت ليس بناهل *** وليس الذي يهدي المنايا بغافل

خليلي يفني الموت كل قبيلة *** وما أنا إلا في سبيـــل القبائل

فروحا على مالي كلا من فضوله *** فما تجمع الأموال إلا لآكل

إذا أنا لم أنفع بجاهي ولم أجـــد *** بمالي طالتني يد المتطاول» [38] .

فبعد أن يشرح ألفاظ الأبيات يذهب إلى بيان معانيها المتداولة عند غيره من الشعراء، «الناهل ههنا : العطشان ويكون الريان وهو من الأضداد ، وقد قيل: إن أصل الناهل الريان وإنما قيل : للعطشان ناهل على طريق التفاؤل له بالري (...) ويقال : طال فلان فلانا يطول طولا إذا علاه بفضل فيه والمتطاول المتفاعل من الطول كالمتغافل والمتعاقل والمتساخي والمتغابي هو

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذي يستعمل هذه الأشياء وليست فيه ، فهو يأتيها استعمالا وليست له طبعا كما قال أبو تمام:

ليس الغبي بسيد في قومه *** لكن سيد قومه المتغابى

أي المستعمل للتغابي والتغافل ، وليس بغبي ولا غافل (...) فقول بشار. طالتني يد المتطاول . أي إن أنا لم أفعل ما ذكرته من النفع بجاهي والجود بمالي غلبتني يد المغلوب ، وقصرت بي عن الفضل يد المقصر عنه فكيف بمن سواهما ؟ قوله . إذا أنا لم أنفع بجاهي . البيت من قول عدي بن مزيقياء اللخمي (...) وأخذ المتنبي معنى صدر البيت الأول فقال :

لا يعتقي بلد مسراه عن بلد *** كالموت ليس له ري ولا شبع

يقال عاقه يعوقه، وأعتاقه يعتاقه ، واعتقاه يعتقيه ، وعوقه يعوقه كل ذلك إذا منعه من الشيء الذي يريده وحال بينه وبين مراده فيه»[39].

كانت آليات الناقد في مقاربة نصوص بشار الشعرية، من حيث شرحه للغة وتقصيه عن المعنى، وسيلة علمية في محاولة الوصول إلى موقف صريح حول سرقات الشعراء، من حيث كونها معان متداولة مبتذلة قد سُبق بشار إليها ، أو كونها معان محدثة أصيلة أو مولدة يتفرد بها، بل للكشف عن معاني من سبقه ومن لحقه من الشعراء الذين تداولوا المعنى ذاته، وكان هدفه البعيد،من وراء ذلك ، الوقوف عند تعالق المعاني لدى قدامى الشعراء ومحدثيهم وبالتالي الفصل في قضيتين أفضت بهما المدونة الشعرية لبشار بن برد في الكتاب (المختار) وهما: قضية السرقات وقضية القدماء والمحثين، بحيث تفطّن التجيبي إلى ذلك بحكم كون الشاعر (بشار) من المحدثين الذين كثرت حولهم الأقوال النقدية في تأثرهم بالقدماء أو تفردهم بالتجديد الشعري، وعلاقة ذلك بسرقات الشعراء قدماء ومحدثون.

ويتجلى موقف التجيبي في بحث النقدي وفق منهجه المذكور في القضيتين المتلازمتين في القول إن معاني الشعراء قدماء ومحدثون متداولة بينهم، وفضل اللاحق إنما في تجميل صورها وتوليدها حتى تبدو محدثة ،ونجده يتفق مع معاصره ابن رشيق الذي جعل القدماء والمحدثين رجلين ، ابتدأ الأول بناء فأتقنه، ولحقه الآخر فأحسن زخرفته [40].

وكان بحثه في المدونة الشعرية عن معاني القدماء والمحدثين مسرحا لمقاربة النص وكشف أساليبه و جمالياته، بحيث استجلى الصور البيانية في النصوص وشرح فاعليتها النصية وفاعليتها القرائية من حيث كونها من المستويات الفنية التي تعمل على جذب ذوق

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القارئ وحسه الجمالي، ولذلك تعد من الأنساق الضمنية (قارئ ضمني) التي تفضي بجماليات النص في كليته، ولعل الناقد كان يحاول فتح آفاق قراءة النص الشعري وتوجيه القارئ نحو مسار نقدي يستجلي فيه جماليات هذا النص من خلال تشكيله اللغوي والفني والبياني.

كما اهتم التجيبي بتأثير الشعر في نفوس متلقيه ليقر بأهمية وجود قارئ النص الجمالي و يبرز مدى تأثر القارئ بجمال النص المبدع، واسهامه في الكشف عنه، ونجد ذلك فيما يرويه من حال ابراهيم بن المهدي وهو يتأثر لبيتين قالهما خالد الكاتب وبيّن موطن انفعاله وطربه فيهما، يقول:

رأت منه عيني منظرين كما رأت *** من الشمس والبدر المنير على الأرض

عشية حياني بورد كأنـه*** خدود أضيفت بعضهن إلى بعض [41]

فزحف عن الفراش، وقال: يا فتى الناس شبهوا الخدود بالورد وأنت شبهت الورد بالخدود زدني ... » [42].

خاتمة:

القراءة هي عملية اتصال و تواصل بين القارئ والنص تفضي إلى معرفة مرتبطة بثقافة العصر مما يشترك فيه المؤلف (الشاعر) والقارئ (الناقد) والمتلقي العام للنص، بحيث يتشكل الفهم والوعي المرجو من عملية انتاج النص الادبي ومقصديته، وهو ما أحالت إليه النماذج المقترحة في الدراسة من خلال محاولة الناقد في الاشارة إلى تلقي النص الأدبي، بل والبحث في المسببات النصية التي تحرك شغف القارئ بتذوق النص بحسه الجمالي وكذلك بتتبع مواطن الجمال في النص والتي كانت وراء بعث الحس الجمالي في المتلقي.

لم يكتف القارئ الناقد المغربي بتتبع مواطن الجمال في النص وتفريغ احساس بالجمال في ذلك، وانما كان فعل توجيه التلقي العام للنص واضحا في مقاربة النص بحكم خبرته وتجاربه.

الهوامش و الاحالات:

1يعد ابن الأبار المترجم الوحيد الذي اهتم بالتجيبي في كتابه "التكملة لكتاب الصلة" فقد أغفلته كتب التراجم والتاريخ وأهمله المحققون والباحثون ، عدا السيوطي الذي أشار إليه في نبذة يسيرة . هو الشاعر واللغوي والناقد أبو طاهر إسماعيل بن زيادة الله التجيبي ، نسبة إلى تجيب بطن من كندة ، ويعرف أيضا بالبرقي، ولد بالقيروان في أواخر القرن الرابع للهجرة وسكن بالمهدية وهما حاضرتان من أكبر الحواضر العلمية والثقافية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التي عرفت بالمغرب القديم في تلك الحقبة من الزمن... (ينظر،مقدمة كتاب التجيبي " المختار من شعر بشار، اختيار الخالدين" تح ، محمد بدر الدين العلوي ، دار المدينة للطباعة والنشر، بيروت) .

2 محمد مفتاح، " النص من القراءة إلى التنظير" المكتبة الأدبية، شركة النشر و التوزيع-المدارس-، مطبعة النجاح الجديدة،ط1، الدار البيضاء، 1999م، ص80.

3 نفسه، ص78.

4 حسين الواد، "قراءات في مناهج الدراسات الأدبية"،سراس للنشر، ط1، تونس، 1985، ص69.

5 مصطفى ناصف، "الصورة الأدبية"، دار الأندلس، ط3، بيروت لبنان.1983، ص120.

6 عز الدين إسماعيل، "الأسس الجمالية في النقد العربي، عرض و تفسير و مقارنة"، دار الفكر العربي للطبع و النشر ، دار النصر للطباعة، ط1، 1967 ، ص202.

7 البيت الشعري لعدي بن يزيد.

8 ابن سلام الجمحي البصري، "طبقات الشعراء، الجاهليين و الإسلاميين"، حققه و ضبط أصوله: مصطفى أبو الجواد عمران، المطبعة العربية، ط2، المكتبة المحمدية التجارية، مصر، 1967، ص34.

9 محمد مندور،"النقد المنهجي عند العرب"، دار نهضة مصر للطبع و النشر-الفجالة- القاهرة، ص385.

10 ينظر إلرود إبش، "التعريف بجمالية التلقي و نقدها، التلقي الأدبي"، ترجمة محمد برادة، دراسات سيميائية أدبية لسانية، ع6(عدد خاص حول جمالية التلقي)، خريف/ شتاء 1992م، ص52.

11 نفسه ، ص52.

12 نفسه، ص84.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

13 نفسه، ص 13.

14 جابر عصفور، "الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب"، نشر المركز الثقافي العربي،ط3، بيروت، الدار البيضاء، 1992، ص 24.

15 أدونيس، " سياسة الشعر، دراسة في الشعرية العربية المعاصرة"، دار الآداب، ط 1، بيروت، 1985،ص 49.

16 نفسه، ص 50.

17 ينظر، مصطفى ناصف، "نظرية المعنى في النقد العربي"، دار الأندلس،بيروت،ط1، 2000،ص 100.

18 إبراهيم صدقة، "التأثرية و النقد التأثري عند محمد مندور"، رسالة مقدمة لنيل رسالة الماجستير، المعهد الوطني للتعليم العالي في اللغة و الآداب العربية.باتنة 1406هـ/ 1986م ، ص 324.

19 أحمد رحماني، "النقد التطبيقي الجمالي و اللغوي في القرن الرابع الهجري "،بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في النقد الأدبي القديم، معهد الآداب و اللغة العربية، جامعة قسنطينة 1408هـ / 1987 ، ص 46.

20 مصطفى ناصف، "دراسة الأدب العربي"، دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع.ط3 بيروت-لبنان، 1983م، ص 14-19-25.

21 أحمد رحماني، "النقد التطبيقي الجمالي و اللغوي"، ص 47.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

22 ينظر، محمد زكي العشماوي، " قضايا النقد الأدبي بين القديم و الحديث"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت -لبنان- 1404هـ/1984م ، ص 337-338.

23 ينظر، شكري المبخوت، "جمالية الألفة"، النص و متقبله في التراث النقدي"، المجمع التونسي للعلوم و الآداب والفنون، بيت الحكمة، ط1،تونس، 1993.، ص 68.

24 نفسه، ص 68.

25 نفسه، ص 68.

26 شكري المبخوت، "جمالية الألفة"، ص 69.

27 نفسه، ص 69.

28 أحمد رحماني،" النقد التطبيقي الجمالي و اللغوي في القرن الرابع الهجري"، ص 55.

29 أحمد أمين، "النقد الأدبي"، مكتبة النهضة المصرية، ط3،القاهرة، ج193/1.

30 نفسه، ج193/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

31 أحمد كمال زكي، "النقد الأدبي الحديث، أصوله واتجاهاته"، دار النهضة العربية للطباعة و النشر،بيروت ، ص 76.

32 خالد يوسف، "في النقد الأدبي و تاريخه عند العرب"، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع،ط1،بيروت- لبنان، 1407هـ-1987م ، ص 16.

33 طه مصطفى أبو كريشة، "النقد العربي التطبيقي بين القديم و الحديث"، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان- ،طبع دار نوبار للطباعة ط1، القاهرة، 1997م، ص 07.

34 محمد مصايف،" دراسات في النقد و الأدب"، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط ، الجزائر ، 1988م، ص 13.

35محمد مصايف، مرجع سابق، ص 272.

36 التجيبي " المختار من شعر بشار، اختيار الخالدين" تح ، محمد بدر الدين العلوي ، دار المدينة للطباعة والنشر، بيروت ، ص 42.

37 التجيبي " المختار من شعر بشار، ص 42 . 43 .

38 نفسه ، ص 130 .

39نفسه ، ص 130 . 131 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

40 ينظر، العمدة ،ج1 ، ص 92

41 المختار، ص 128.

42 نفسه ، ص 128.

بيبليوغافيا البحث:

_التجيبي " المختار من شعر بشار، اختيار الخالدين" تح ، محمد بدر الدين العلوي ، دار المدينة للطباعة والنشر، بيروت .

_ابن سلام الجمحي البصري، "طبقات الشعراء، الجاهليين و الإسلاميين"، حققه و ضبط أصوله: مصطفى أبو الجواد عمران، المطبعة العربية، ط2، المكتبة المحمدية التجارية، مصر، 1967 م.

_محمد مفتاح، " النص من القراءة إلى التنظير" المكتبة الأدبية، شركة النشر و التوزيع-المدارس-، مطبعة النجاح الجديدة،ط1، الدار البيضاء، 1999م.

_ مصطفى ناصف، "الصورة الأدبية"، دار الأندلس، ط3، بيروت، لبنان. م م 1983.

_ مصطفى ناصف، "نظرية المعنى في النقد العربي"، دار الأندلس. بيروت، ط1،2000. م

_مصطفى ناصف، "دراسة الأدب العربي"، دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع.ط3 بيروت-لبنان، 1983م.

_ عز الدين إسماعيل، "الأسس الجمالية في النقد العربي، عرض و تفسير و مقارنة"، دار الفكر العربي للطبع و النشر ، دار النصر للطباعة، ط1، 1967 م .

_ محمد مندور،"النقد المنهجي عند العرب"، دار نهضة مصر للطبع و النشر-الفجالة- القاهرة.

_جابر عصفور، "الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب"، نشر المركز الثقافي العربي،ط3، بيروت، الدار البيضاء، 1992.

_أدونيس، " سياسة الشعر، دراسة في الشعرية العربية المعاصرة"، دار الآداب، ط 1، بيروت، 1985.

_ محمد زكي العشماوي، " قضايا النقد الأدبي بين القديم و الحديث"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت -لبنان- 1404ه/1984م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

_ شكري المبخوت، "جمالية الألفة"، النص و متقبله في التراث النقدي"، المجمع التونسي للعلوم و الآداب والفنون، بيت الحكمة، ط1،تونس، 1993.

_أحمد أمين، "النقد الأدبي"، ج1مكتبة النهضة المصرية، ط3،القاهرة.دت.

_ أحمد كمال زكي، "النقد الأدبي الحديث، أصوله واتجاهاته"، دار النهضة العربية للطباعة و النشر،بيروت . ،دت.

_خالد يوسف، "في النقد الأدبي و تاريخه عند العرب"، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع، ط1،بيروت- لبنان، 1407هـ-1987م

_ طه مصطفى أبو كريشة، "النقد العربي التطبيقي بين القديم و الحديث"، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان- ،طبع دار نوبار للطباعة ط1، القاهرة، 1997م.

_ محمد مصايف،" دراسات في النقد و الأدب"، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط ، الجزائر ، 1988م.

_حسين الواد، "قراءات في مناهج الدراسات الأدبية"،سراس للنشر، ط1، تونس، 1985.

_ إبراهيم صدقة، "التأثرية و النقد التأثري عند محمد مندور"، رسالة مقدمة لنيل رسالة الماجستير، المعهد الوطني للتعليم العالي في اللغة و الآداب العربية.باتنة 1406هـ/ 1986م .

_أحمد رحماني، "النقد التطبيقي الجمالي و اللغوي في القرن الرابع الهجري "،بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في النقد الأدبي القديم، معهد الآداب و اللغة العربية، جامعة قسنطينة 1408هـ / 1987 م .

_إلرود إبش، "التعريف بجمالية التلقي و نقدها، التلقي الأدبي"، ترجمة محمد برادة، دراسات سيميائية أدبية لسانية، ع6(عدد خاص حول جمالية التلقي)، خريف/ شتاء 1992م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com